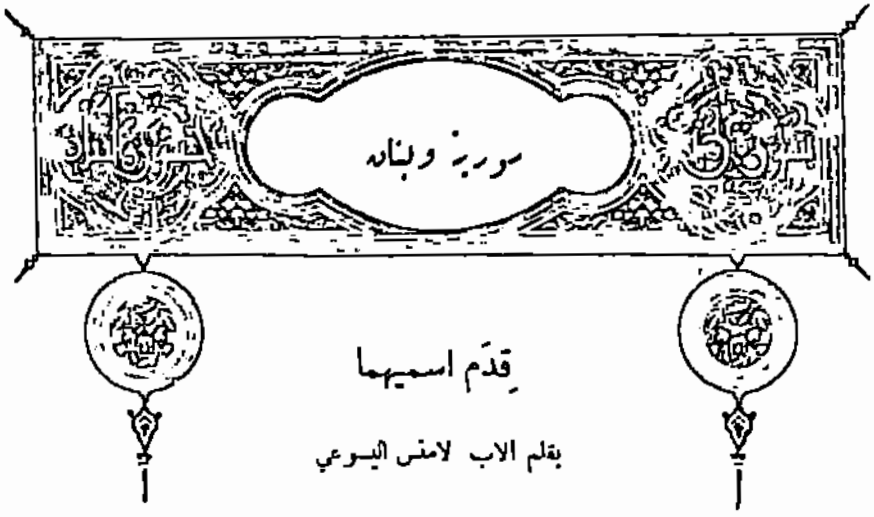

قِدَم اسميهما

بقلم الاب لامنس اليسوعي

في ٢٠ شباط الفائت ، القينا في ردهة كلية القديس يوسف ، محاضرة عددنا فيها افضال لبنان على سورية من حيث المياه والري ، والمناخ ، وعنصر السكّان. ثم لخصنا تاريخ اسم «لبنان» وبينا انه يظهر مرات عديدة في الرقوم الحثية ، والبابلية ، والاشورية ، والمصرية ، سواء كانت تلك الرقوم محفورة في الآجر او منقوشة على الصخور وكلها مستندات رسمية صادرة عن اقدم حكومات العالم المتمدن قلنا عنها وقتئذٍ انها شهادة عريقة في القدم بل وثيقة ترتقي الى الفي سنة قبل المسيح. واشرنا بعد ذلك الى اتساع لبنان الجغرافي في تلك العصور . ثم ختمنا قائلين : لم يُخترع «لبنان» اعتباطاً ، وهو ليس بدعي يتطلب نسباً وتاريخاً قديماً . . .

فتلقت الصحافة تلك المحاضرة ، وخاضت في الموضوع كما شاءت. وكان ان بعض الصحافيين ، من غير ان ينكروا قِدَم لبنان ، رأوا من اللازم الملاحظة ان سورية تعادله قِدَماً . . . وهي ملاحظة من نوع ما يُسمّى «بدفع الباب المفتوح» . . . لاننا لم نتكلم قط عن قِدَم لبنان الجغرافي او الجيولوجي — وهو موضوع صبياني — بل عن قِدَم لبنان اللغوي اي قدم اسم «لبنان».

واسم «لبنان» كان معروفاً وجارياً في جميع بلدان الشرق الادنى ، قبل ان يُخلق اسم «سورية» بعشرة قرون على اقل تعديل. ومما قد يجهله من انتقدنا من الصحافيين ان اسم «لبنان» اسم وطني. اما «سورية» فاسم اجنبي من صادرات بلاد اليونان ، وهم اشهر من اصدر الاعلام الجغرافية. وكذلك نحن مدينون لهم

باسم «انتي - لبنان» الذي نعتوا به سلسلة لبنان الشرقية.

***

بقي الكلام في اصل كلمة «سورية»، فنقول انها ليست سوى نقل اللفظة اليونانية Συρία بالحروف العربية، واللفظة اليونانية نفسها اختصار للكلمة Ἀσσυρία. اما هذا الاسم الاخير فيذكرنا بالعصور التي كانت فيها سورية جزءاً من مملكة الاشوريين. وهكذا فان تجارة اليونان الاقدمين لما وصلوا الى شواطئ بلادنا ورأوها خاضعة لسلطة ملوك اشور، سمّوها «اسوريّة» ثم اختصروا فقالوا «سورية».

فنرى اذاً ان هذا الاسم غير عريق في القدم. فان التوراة لا تذكره قطعاً بل هي تسمي سورية بلاد آرام. واننا نفتش عبثاً عن اسم اسورية في ما تقدم احتلال الاسكندر الكبير من الاسفار المقدّسة. وكذلك هوميروس وهيزيودس (القرن العاشر والتاسع ق.م.) فانهما يجهلان هذا الاسم، مع ان هوميروس ذكر الفينيقيين واثنى عليهم. اما اول مؤلف ذكر اسم سورية فهو الشاعر اشيل (القرن الخامس ق. م.) على ان هذا الاسم لم يكن مضمونه مميزاً عن مضمون اسم «اسورية» فكان كلاهما يدلان على المملكة الاشورية ثم على بلادنا التي كانت جزءاً منها. وبعد الاسكندر الكبير اخذ اسم «سورية» المختصر بالتفوق على الاول فاستعمله الكتاب اللاتين وانتشر.

ولكن لم يتقرر مضمونه تماماً الا منذ السنة ٦٤ ق.م. وهي السنة التي احتلّ فيها الرومانيون بلادنا فالحقوها بامبراطوريتهم، فغدا اسم «سورية» يدل على المناطق الواقعة ضمن حدود البحر المتوسط، وجبل طورس، ونهر الفرات، ما عدا بلاد فلسطين وفينيقية اي سلسلتي لبنان. وظلّ هذا الاسم مستعملاً حتى اليوم.

فينتج مما تقدّم ان اسم «سورية» اصغر عمراً من اسم «لبنان» بالفي سنة على الاقل.